العلماء هم الدعاة

د/ ناصر بن عبد الكريم العقل

" تمهيد "

إن الحمد لله، نحمده و نستعينهو نستغفره،و نتو ب إليه،و نعو ذ بالله من شرو ر أنفسنا، و من سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له،و من يضلل فلا هادي له،و أشهد أن لا إله إلا اللهو حده لا شريك لهو أشهد أن محمدا عبدهورسو له.

فإن الحديث عن الدُّعاةو عن العلماء، أصبح في ظرو فنا المعاصرة أمرا ضروريا. خاصة حينما انتشر مفهو م خاطئ عند الناس، في هذا العصر،و هو: مفهو م التفريق بين العالمو الداعي.و بين العلمو الدعو ة.

و بين الفقه في الدينو الفقه في الدعو ة.و ما نتج عن هذا المفهو م من ظو اهر خطي ة في الدين،و في السلو ك،و في الأفكار،و في المفاهيم،و في التعاملو الموا قف،و الوو لاء و البرا ء.

و منشأ الموضوع في ذهني: أني رأيت كثيرا من الدعاةو الحركات الإسلامية المعاصرة التي تتصدر الدعو ة في العالم الإسلامي، قد نشأ عندها هذا الفصام.و هذا التفريق المبتد ع بين الداعي إلى الله- سبحانهو تعالى-و بين العالم ، أو بين المتصدي للدعو ة إلى الله- أو المتخص ف للدعو ةو بين العالمو الشيخ. أو بين العلماءو طلاب العلم،و بين الدعاةو أتباع الحركات الدعو ية ،و نظرا لما لهذا الانفصامو الخلل من عو اقبو خيمة قد تؤ دي إلي الاتفو اق المذمو م، فلابد من الحديث عن هذا الأمر علىو جه النصح لا علىو جه التشهير،و سأتحدث في هذا الموضوع عن بعض المسائل، لأن الموضوع متشعبو طو يل، ذو شجو ن.

المسألة الأو لى:

في التعو يفات المتعلقة بعنو ان هذه ا لمحاضرة،و التي هي " العلماء هم الدعاة ".

1- مفهو م العلماءو سماتهم:

فالعلماء المقصو د بهم: العالو ن بشرع الله،و المتفقهو ن في الدين،و العامو ن بعلمهم على هدىو بصير ة، على سنةر سو ل الله ــ صلى الله عليهو سلم ــ ،و سلف الأمة، الداعو ن إلى الله بالحكمة التيو هبهم الله إياها: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(البقرة: من الآية269).. و الحكمة: العلمو الفقه.

فعلى هذا ؛ فالعلماء بهذا التعو يف: هم الدعاة بداهة،و العلماء همورثة الأنبياء، و الأنبياء هم الدعاة، فأجدر من يتصدر الدعو ة بعد الأنبياء-و قد انقضت النبو ة و انتهت-: هم العلماءو ذلك:

أو لا: لأنهمورثتهم.و الأنبياء لم يورثو ا درهماو لا دينارا، إنماورثو ا هذا العلم.و الدعو ة إنما تكو ن بالعلم، فأهل العلم هم الدعاة.

ثانيا: العلماء هم حجة الله في أر ضه على الخلق،و الحجة لا تقو م إلا على لسان داعية بفقههو بعلمهو بقلو ته، فعلى هذا، فالعلماء هم أجدر الناس بالدعو ة.

ثالثا: العلماء هم أهل الحلو العقد في الأمة،و همأو لو ا الأمر الذين تجب طاعتهم، كما قال غيرو احد من السلف في تفسير قو له تعالى: ﴿أطيعو ا اللهو أطيعو ا الر سو ل

وأ لي الأمر منكم) النساء: 59،. قال مجاهد: هم أ لا العلم و الفقه..و إذا كانوا هم أ لا الأمر فولايتهم للدعوة من باب أ لى.

رابعا: العلماء هم الذين تؤتمن على مصالح الأمة العظمى،على دينها،و على دنياها و أمنها ؛و من باب أ لى أن يكونوا هم الذين تؤتمن على الدعوة و شؤونها.

خامسا: العلماء هم أهل الشورى الذين ترجع إليهم الأمة في جميع شؤنها و مصالحها. و إذا كانوا يستشارون في جميع مصالح الأمة- في دينها و دنياها- فمن باب أ لى أن يكونوا هم أهل الشورى في الدعوة و قيادتها.

سادسا: العلماء هم أئمة الدين،و الإمامة في الدين فضل عظيم،و شرف و منزلة رفيعة، كما قال تعالى: (و جعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)السجدة: 24،.و الإمامة في الدين تقتضي بالضرورة الإمامة في الدعوة.و ما الدين إلا بالدعوة،و ما الدعوة إلا بالدين..

سابعا: العلماء هم أهل الذكر،و الذكر بالعلم و الدعوة، كما قال تعالى: (فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) النحل: 43. فعلى هذا هم أهل الدعوة إلى الله تعالى.

ثامنا: العلماء أفضل الناس كما قال تعالى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) المجادلة:11 .و أفضل الناس هو الداعي إلى الله.

تاسعا: العلماء هم أزكى الناس،و أخشاهم لله، كما قال تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء)فاطر 28،.و إذا كانوا هم كذلك، فهم الأجدر أن يكونوا هم الدعاة على هذه الصفات،و هم الأجدر أن يكونوا هم القادةو الروا د في الدعو ة.

عاشرا: العلماء هم الآمرو ن بالمعرو ف، الناهو ن عن المنكر بالعلمو الحكمة، إذا فالعلماء هم الدعاة.

حادي عشر: العلماء هم شهداء الله الذين أشهدهم الله على توحيده،و قرن شهادتهم بشهادته- سبحانه-و بشهادة ملائكته؟و في هذا تزكيتهمو تعديلهم، فقال تعالى: (شهد الله أنه لا إله إلا هوو الملائكةوأولوا العلم) و من كانوا كذلك فهم الذين تمرن على الدعو ة،و هم ا لأَوْلَى بقيادتهاور يادتها.

هذا علىو جه العمو م ،فالعلماء هم أهل هذه الخصال.و لا يلزم أن تتو فر كل هذه الخصال في كل عالم، فالكمال لا يكو ن إلا لله- سبحانه- لكنهم في الجملة- أي العلماء- لاشك أنهم المتمتعو ن بهذه الصفات الجديرو ن بها.

بطلان دعو ى خلو الأر ض من العلماء القاو ة

و العلماء لا يمكن أن تخلو الأر ض منهم،و هذا دفعا لدعو ى قد يدعيها بعض الجهلة ممن ينتسبو ن للدعو اتو الحركات المعاصرةو يزعمو هم هي زعم بعضهم: أنه لا يو جد علماء قاو ة، أو أن العلماء الذين يمكن الاقتداء بهم: مفقو دو ن، أو أنهم يتهاو ن بمطاعن تسقط اعتبارهم، أو نحو هذا من الدعاو ى التي لا تجو ز شرعا- بل هي مخالفة للوا قع،و مخالفة لصريح النصو ص، فإن الله- سبحانهو تعالى- تكفل بحفظ هذا الدين،

و تكفل بحفظ طائفة من الأمة تبقى ظاهرة منصورة، أمرها بَيِّن–و هذا لا يمكن أن يتأتى إلا بأهل الحجة و القوة.و هم العلماء،و الصفات التي ذكرتها، تتوفر في كل مكان، وكلو قت بحسبه– قوة و ضعفا– لكن لا يمكن أن يخلو كل الزمان وكل المكان في الأرض من العلماء– كماذكرته– إلى قيام الساعة.

2– مفهوم الدعاة:

أما بالنسبة للدعاة: فقد عرفنا أن العلماء هم الدعاة، لكن تنزلا للمصطلحات و الألفاظ، فإنا نقول:

الدعاة هم: الداعون إلى الله، على بصيرة.

و البصيرة هي اتباع هدي رسول الله ــ صلى الله عليهو سلم ــو هو الفقه في الدين،

وأول من تتوفر فيه هذه الصفات– لا شك أنهم العلماء، لأن الرسول ــ صلى الله عليهو سلم ــ ، أمر أن يقول بأن سبيله: الدعوة إلى الله على بصيرة،و لا تأتي البصيرة إلا بالعلمو الفقه في الدين، قال تعالى: (قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا و من اتبعني)يوسف: 108،.و لا شك أن أتباع الأنبياء بالأولى هم العلماء.

جـ –و الدعوة:

هي السعي لنشر دين الله- عقيدةو شريعةو أخلاقا،و بذل الو سع في ذلك،و يتحقق هدف الدعو ة إلى الله بالعلمو العملو القلو ة،و بالأمر بالمعرو فو النهي عن المنكر، و الإصلاحو الاستقامةو الإخلاصو التجر د،و هذه الأركان أكثر ما تتو فر في العلماء.

.*.*.* إشكالات مفر وضة،و جو ابها .*.*.*.

و هنا لابد من الاستلو اك، قبل أن أفصل في بعض النقاط المهمة في المسائل التي تلي، حيث قد يو رد سؤ الا عند بعض الناس:

أ ولا: هل يعني هذا أنه لا يدعو إلى الله إلا عالم؟

بالطبع لا، بل على كل مسلم عر ف شيئا من الدين،و تبصر به: أن يدعو إليه بعد التبصر،و فَقِهَ المسألة التي يدعو إليها.و إنما أقصد أن الذي تتو جه إليه النصو ص الشرعية،و الذي عليه عمل السلف.

أن قيادة الدعو ة،ور يادتها،و تو جيهها. لابد أن يكو ن من العلماء،و في العلماء، و أقصد: أن العلماء لابد أن يتصدرو ا الدعو ات في كل أمر ذي بال،و لابد أن نجعلهم هم القادة،و هم المر جع،و الم وجهين في الدعو ة إلى الله- سبحانهو تعالى -و لا يكو نو ا مجر د مستشار ين عند الحاجة كما يفعل كثير من (أصحاب الدعو ات).

فالعلماء لابد أن يكونوا هم المتصدرين للدعوة،و إن لم يكن الأمر كذلك، فإن في الأمر خللا لابد من استدراكه،و خطأ لابد من تصحيحه، بل إن لم يكن الأمر كذلك فإن الدعوة ستنحرف لا قدر الله،و تعصف بها الأهواء.

ثانيا:ربما يقال: إن العلماء لم يرفعوا راية للدعوة:

فأقول: هذا الإشكال لا يصح، لأنه نابع عن قصور في النظرة للعلماء ، فالمنصف يجد أن العلماء- في الجملة- قاموا بما يسعهم من واجب التبليغ و نشر العلم و النصح للأمة و الولاة و العامة، كل منهم حسب ما يستطيع،و حسب ما يرى من أساليب يتأدى بها الواجب،و يجب أن لا نقع منهم الإشادة بجهودهم أو الدعاية لأنفسهم. ذلك أن الأصل في أهل العلم: (أنهم يُسْعَى إليهم لأخذ العلم عنهم،و لا يَسْعَوْنَ إلى الناس).و الأصل في أهل العلم: أن يكون لهم سمت أساسه التواضع،و أن يكون لهم حق على الأمة، كما أن الأصل في العلماء: أن لا يرفعوا فوق رؤوسهم رايات، و لا يرفعوا شعارات،و لا يطلبوا الانتماءات إليهم،و نحو ذلك مما هو من لوازم بعض الدعوات المعاصرة.

فالعلماء يُقصدون،و يجب أن يلتف حولهم عامة الناس،و طلبة العلم بخاصة.

رفع الرايات و الشعارات للدعوات من قِبَلِ من لهم شأن في الأمة- ليس من هدي السلف، فمن رفعه الله بالعلم و التقوى وجب على الأمة أن ترفع قدره.و أقصد: إن إخضاع العلم للدعاية أو للشعارات أو الانتماءات لم يكن من خصال السلف، بل هو من خصال أهل الأهواء و الفرق، أما أهل السنة: فهديهم السنة و الجماعة-و هي

ليست شعارا يرفع، إنما هي سبيل المؤمنين،وصراط الله المستقيمو سنة سيد المرسلين ــ صلى الله عليهو سلم ــ.

- **المسألة الثانية:**

بيان أن الأصل في الكتابو السنةو ما اتفق عليه جمهور سلف الأمة ،و هو هديهم.

أن العلماء هم الدعاة،و أن الدعاة– أصلا– هم العلماء،و أن غيرهم تبع لهم، فكما أسلفت: كل طالب علم وكل مسلم عليه أن يدعو إلى الله بقدروُسْعِهِ،و على بصيرة في الأمر الذي يدعو إليه– وكل ذلك مشروط بالتبعية لأهل العلم، لأنهم هم قادة الأمة،و هم من أهل الحلو العقد فيها–و هم جماعتها.

- **المسألة الثالثة:**

في الحديث عن هذه الظاهرة التي أشرت إليها،و هي: الفصل بين العلماء (أي علماء الشرع: أهل الفقه في الدين)و بين الدعاة، أو بين العلمو الدعوة (أي طلب العلم الشرعيو الدعوة)،و هذا الفصل– مع الأسف– تركز في أذهان كثير من المسلمين في هذا العصر، لأسباب كثيرة– سأذكر شيئا منها فيما بعد.

بل إن هذا المفهوم الخاطئ لم يتركز في الأذهان فقط، بل صار له أثر في الواقع أي فيما تعيشه الدعوات،و ما يعيشه كثير من الدعاة في كثير من بلاد العالم الإسلامي وكما أسلفت كان التفريق بين العلماءو الدعاة من سمات أهل البدع، حيث أنهم

اتخذوا رؤوسا جهالا. و الداعية عندهم- أعني أهل الأهواء و البدع- هو من يخضع لأهوائهم، و يلتزم بها، و يقول بمقولاتهم و ينشرها و ينتصر لها، و لو لم يفقه من الدين شيئا.

و نجد هذا جليا في الفرق الأولى: كالخوارج، فإن دعاتهم ليسوا العلماء الأكابر، لا فيهم و لا من يغوهم، بل بضاعتهم في الفقه و العلم قليلة و على غير طرق سليمة، وكذلك الرافضة: دعاتهم جهالهم، بل أجهل الناس و أقلهم أحلاما، و هكذا المعتزلة، و القدرية، و أهل الكلام، و سائر الفرق على هذه السمة- غالبا- على تفاوت بينهم.

فهؤلاء- أي أهل الافتراق- هم الذين يفصلون بين الدعوة و بين الفقه في الدين، لأنهم- أصلا- يقل فيهم الفقه في الدين. و أكثر زعمائهم و دعاتهم إنما يمتازون بالولاء لفرقتهم، و بالولاء للمقولات التي هم عليها، و لا يفقهون من الدين إلا القليل، و منهم من لا يفقه شيئا.

و أغلب دعاة هذه الفرق و الذين نشروها في الأقاليم الإسلامية قديما من العوام و من الجهلة أو الذين لهم أهداف و أغراض شخصية أو شعوبية، أو عصبيات، و يسيطر عليهم الجهل المهلك.

- **المسألة الرابعة:**

أن هذه الخصلة- مع الأسف- سمة ظاهرة، بدأت تظهر في كثير من الدعو ات المعاصرة، وكثير من الحركات الإسلامية-و هي في خارج هذه البلاد أكثر، لكن لا يسعنا إلا أن نتكلم عنها لأسباب:

وأ لها: أننا لابد أن نحمل هم جميع المسلمين في كل بقاع الأ رضو هذاو اجب شرعا على كل داعية، فعلى كل عالم أن يحمل هم المسلمين لا في إقليمو احد، بل في جميع بقاع الأ رض.و المسلم ن ؛ الأصل فيهم أنهم أمةو احدة،و مقتضى النصحو الإشفاق عليهم. بيان ما فيهم من خيرو تشجيعهم عليه.و بيان ما فيهم من أخطاء،و التنبيه عليهم،و نصحهم بالعدو ل عنها.

و من هذا المنطلق سأقف عندذ كر بعض ظ اهر الخطأ في هذا الم وضوع، في بعض الحركات الإسلامية خارج هذه البلاد.

و ثانيها: أن بعض هذه الظ اهر- أي الفصل بين العلماءو الدعاة- بدأت تظهر عند ط ائف من الشباب- عندنا-،و بعض المفكرين،و بعض المثقفين، لسبب أو لآخر، فمن هنا كان لابد من الكلام عن وأ ضاع الدعو ات المعاصرة، بمجملها، في جميع العالم الإسلامي،و ليس في بلدو احد، لأنها يستمد بعضها من بعض.

أعو د إلى هذه الخصلة- أو هذه السمة التيو قع فيها كثير من الدعاة و الدعو ات المعاصرة،و هي: (أن الدعاة عندهم غير العلماءو الداعية غير العالم)،و هذا المفهو م بدأ ينمو في أذهان بعض الناس- مع الأسف-و قد تأصلت هذه المفاهيم حتى في

أعمال الدعاة،و في حركاتهم،و في مواقفهم،و في مناهجهم، فصلوا يفصلون بين العالم (الشيخ)و بين الداعية،و أدى ذلك الفصل إلى عواقبو خيمة.

فالداعية عندهم: هو من ينشط في الدعوة و الحركة، لتحقيق مراد أصحابها، أو لتحقيق أهدافها، أو يهاو يرفع شعارها،و يجمع الناس حوله على هذا الشعار. هذا هو الداعية عند كثير من الدعوات المعاصرة، بصرف النظر عن علمهو فقهه، بل الغالب أنه يكون من قليلي الفقهو قليلي العلم الشرعي.و المشايخ بمفهوم هؤلاء- القاصر- ليسوا دعاة،و لا يصلحون لأن يسهموا في الدعوة أو أن يدخلوا في إطارها أو نطاقها، لأنهم فيهمو فيهم!و بسبب هذا الفصل ظهرت أمور، سنشير إلى شيء منها.

- **المسألة الخامسة:**

من نتائج الفصل بين العالمو بين الداعية: بسبب فصل بعض الدعاة بين الشيخ (العالم)و بين الداعية، ظهرت أمور سلبية نراها جلية في كثير من الدعوات الإسلامية، من هذه الأمور:

أولا: اتخاذهمرؤوساجهالا، - أغلبهم- لا يفقهون من الدين إلا ما يحلو لهم.و غاية ما يملك بعضهم من العلم، إنما هو مجرد أفكارو ثقافات أشتات،زادُ كثير منهم مجرد العواطفو الحركة، حتى كاد أن يكون مصطلح الداعية عندهم من ليس بعالم، و أن العالم ليس بداعية.و أحيانا يقولون: فلان داعية- أي ليس بعالم-و فلان شيخ من المشايخ - أي ليس بداعية !و هذاو قوع فيما حذر منه الرسول ـــ صلى الله عليه

و سلم ــ من اتخاذ (رؤو سا جهالا)، يفتو ن بغير علم، فيضلو او يضلو ا فيمارو اه عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما أن النبي ــ صلى الله عليهو سلم ــ قال: " إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد،و لكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما: اتخذ الناس رؤو سا جهالا فسئلو ا فأفتو ا بغير علم، فضلو او أضلو ا "

ثانيا: قلةو جو د العلماءو المشايخ،و المتفقهين في الدين، المتضلعين في العلو م الشرعية بينهم، في أكثر الدعو ات المعاصرة مع أنو جو د أهل العلم المتفقهين في الدين شرط من شرو ط الدعو ة إلى الله– سبحانهو تعالى– خاصة في الدعو ات الكبر ى، التي ينضو ي تحت لو ائها جماعاتو فئام من الناس، فهذه لا ينبغي أن يفقد فيها العالم، أو أن يكو ن العالم فيها مغموراً، أو لا يتصدر الدعو ة.

ثالثاً: قصو ر النظرة في فهم قدر العلماءو المشايخ،و بمنزلتهم عند كثير من أتباع هذه الدعو ات. فمن هناوُجِدَ من بعضهم اتهام للعلماء بالقصو ر أو التقصير أو قلة لو عي، أو أي نو ع من أنو اع التنقيص لتو ير عدم صلة الدعاة بالعلماء. بل إن بعض الدعاة يرفع نفسهو دعو ته على حساب الكلام في أعراض العلماء،و هذا الأمر–و إن كان كشفه مؤ لماً– لكن لابد منذ كره،و لابد من السعي لعلاجه.

رابعاً: تورط بعض شباب الأمة بالانتماء للشعارات و القيادات الدعو ية ، و ليس لأهل العلمو العلماء، بل أصبح الانتماء للشعارو الجماعة الدعو ية أكثر منه للسنة و الجماعةو أهل العلم .

خامساً: فصل الشباب عن مشايخهمو عن علمائهم،و من ثم حجبهم عن النظرة الشرعية الشمولية للدعوة إلى الله- سبحانهو تعالى-و غاياتهاو مناهجها،و حجبهم عن الاهتداء بهدي أئمة السنة قديماًو حديثاً. بل إن بعض الجماعات تربي شبابها على جوانب من مناهج السلف تخدم أهدافها، أو تخدم الجماعةو شعاراتها،و تغفل الجوانب الأخرىو السنةو العلمو سير أهل العلم،و هذه من أساليب أهل الأهواءو أهل البدع، يأخذون من الأئمة ما يحلو لهم من قول أو فعل،و يتركون الباقي.و هذا خلل في النظرةو خلل في المنهج.

سادساً: نتج عن الفصل بين الدعاةو العلماء : كثرة الشعاراتو الأهواء و الانتماءات و الانتماءاتو العصبيات للجماعات أو للأشخاص مع العلم بأن الأمة لا يجمعها على السنةو الخير إلا علمؤها،و مهما بالغت الفرق، أو مهما بالغت الجماعاتو الدعاة في أي مكانو في أي زمان للسعي إلى جمع المسلمين دون الانشغال بأهل العلم، و دون أن يجعلوا العلماء قادةو موجهينو مرشدينو أئمة للدعوات، فإن الشمل لن يجتمع. نعم لن يجتمع شمل الأمة إلا بالالتفاف حول علمائها، مهما بلغت الدعوات من السعي إلىو سائل الجمعو أساليبه.و هذا الخلل سببرئيسي في كون الجماعات تتنافرو لا تتفاهم،و تفرّقو تفرّق أكثر مما تجتمعو تجمع..وواقعها شاهد على ذلك.

سابعاً: نتج عن الفجوة بين العلماءو بعض الدعوات المعاصرة- أقول البعض حتى لا نظلم الذين هم على الاستقامة- أن نشأت لبعض الدعوات مناهجو أفكار وكتب و مؤلفات مغفول عن السنن،و عن العلوم الشرعية بشموليتها. بلو حتى بتفصيلاتها. و صارت كل طائفة تأخذ من العلوم الشرعية ما يناسبأو ضاعها.و هذا أسلوب من الأساليب الخاطئة التي تخالف منهج السلف،و حتى نشأ للدعوة في العالم الإسلامي

علم يشبه علم الكلام لدى الجماعات في ارتباطه بالأهواء والأشخاص، لا بارتباطه بالسنة والأئمة.

وقد برزت في الآونة الأخيرة، نتيجة لهذا الفصل بين الدعاة والعلماء دعوات بكرى، قوامها وركائزها، رؤساء ليسوا بعلماء، وتعتمد على أفكار وحركات محدثة، تخالف هدي الإسلام، وعلى عواطف لا تضبطها القواعد الشرعية ولا المصالح المعتبرة.

ثامناً: كما نتج عن هذا التقصير في طلب العلم الشرعي على أصوله وعلى مناهجه السليمة الصحيحة، بل ونتج من ذلك عند أصحاب الدعوات التي تفصل بين العلماء والدعاة الحيلولة بين أتباعها وبين تحصيل العلم من المشايخ. بل كثيراً ما تَرِد إشكالات من بعض الشباب في شتى بلاد العالم الإسلامي، ناتجة من صرف بعض الدعاة لأتباعهم عن العلماء بذرائع شتى، حتى أن بعضهم قد يعاقب الشاب الذي ينتمي إليه لماذا جلس يطلب العلم الشرعي على الشيخ فلان!!

ونتيجة لذلك حصل الخلل في المفهوم، فقد فهم بعض الدعاة- هداهم الله- بسبب الحيلولة بينهم وبين المشايخ أن المشايخ خصوم أو أعداء للدعوة، أو أن لديهم ما يضر بالمنتسب للدعوة، أو ما يشوش أفكاره عليها. وسبب ذلك أن في دعواتهم أموراً ومصائب لا يرضاها العلماء، وقد ينتقدونها. ومن هنا تعللوا بصرف شبابهم عن العلماء وأهل العلم والفقه في الدين.

وفي الآونة الأخيرة لما رأى بعضهم عوار هذا النهج صاروا يوجهون شبابهم إلى المشايخ لأخذ العلم عنهم فقط دون ما يتعلق بالمناهج والقضايا الدعوية والحركية ونحوها،

و هذا من مسالك أهل الأهواء،و هو مسلك خطير يجب ألا يستمر عليه من ينشد الحقو الإصلاح،و لذلكو جب مناصحة وأ لئك الدعاقو بيان الحق لهم.

تاسعاً: في بعض الدعوات التي تسلك هذا المسلك ظهرت فئام من الجماعات و الدعاةو الشباب في البلاد الإسلاميةو يغو ها عددها ليس بالقليل، تجد قادتهم على قلة في الفقهو ضعف في العلم، أو تتلمذوا على الأقل علماًو اتخذوا شوخهم من الأصاغر،و قد حذر النبي ــ صلى الله عليهو سلم ــ من ذلك حيث قال: " إن من أشراط الساعة: أن يُلتمس العلم عند الأصاغر "،و هذا- والله أعلم- يشمل ا لأصاغر في العلمو القدرو السن. وكل ذلك حاصل في هؤلاءو منهم طائفة يتخذو ن شوخهم كتبهم،و ما يوشجو نه من كتب فكرية أو ثقافية،و أغلب ما تعتمد هذه الجماعات على الكتب الفكريةو الثقافية أكثر من الكتب الشرعية، بل فيهم من يتنكر لكتب السلف الصالح.

و منهم من جعلوا قادتهم- مع الأسف- جهالهم،و أحكامهم أهواءهم، مما أدى إلى الخلط و إلى الخبط و الاضطراب عند بعض هؤلاء في العقائد و في الأحكام، و في المواقف،و في التعامل مع الآخرين،و في النظرة إلى قضايا الأمة الكبرى،و في التصرفات الطائشة التي تحدث من بعضهم، و في صدور الأحكام المتعجلة، و نحو ذلك من المظاهر التي نراها في فئة من الشباب،و إن كانتو الحمد لله قليلة، لكن القليل في مثل هذه الأمور لا ينبغي الاستهانة به، بل ينبغي علاجه لأنه إذا كثر قد يصعب، بل قد يستحيل علاجه.

المسألة السادسة

كلمة إنصاف

و سأتكلم فيها عن نوعين من الدعاة:

- النوع الأول:

غالب الشباب من طلاب العلم الشرعي عندنا في هذه البلاد (أعني المملكة العربية السعودية)، أشهد أني أرى عليهم علامات الرشد، و الالتفاف حول العلماء، و الانتساب بأهل العلم و التلقي عنهم-و هذه ظاهرة سارة،و هي الأصل،و ينبغي أن نشجع الشباب عليها،و سائر طلاب العلم. كما أني أرى من المظاهر السارة للشباب هنا: استقامة العقيدة،و استقامة السلوك،و الحرص على تلقي العلم الشرعي بمناهجه و أساليبه الصحيحة من مصادره الأصلية: كتب السلف المستمدة من الكتاب و السنة،و تلقيه على أهله-و هم العلماء- أئمة الدين،و المشايخ الذين هم القدوة، و هذه ظاهرة تبشر بالخير ،و هي نتيجة طبيعية لأخذ العلم الشرعي عن أهله، لكن مع ذلك هناك بعض الظواهر التي أشرت إليها و التي هي- أحيانا- قد تكون من النتائج التي تصحب مثل هذا الإقبال الكبير على الخير و الحمد لله فإن غرس الله ظهر،وريح الإيمان هبت،و إقبال الشباب منقطع النظير حتى يكاد يكون أكبر من أن يتحكم به بالإرشاد و التوجيه.

و هذا الإقبال على الخير و الصحوة المباركة أمر يجب أن نفرح به،و أن نستبشر به في الجملة،و هي علامة خير،و لله في ذلك حكمة يعلمها،و لا يمكن أن يكون هذا

الإقبال على الخير مجرد ظاهرة اجتماعية، أو مجرد رد فعل لأوضاع سيئة- كما يقال - الأمر أكبر من ذلك، الأمر هو من مراد الله،و من سننه التي لا تتبدلو لا تتخلف، فقد بلغ السيل الزبد،و قد طغى الزبد،و لابد أن يذهب الزبد جفاء،و لا يمكن ذهابه إلا بجهود بشر،و البشر الذين يصطفيهم الله لابد أن يكونوا على علمو فقه في الدين، و أظن أن الله هيأ هذا الجيل الطيب، ليقوم بدور عظيم طالما تخلف عنه المسلمون في هذا العصر من نصرة الإسلامو نصرة الحق،و هذا قدر اللهو أمره،و هو سنة الله-و لا راد لسنة الله- لكن مع ذلك قد يأتي مع الخير بعض الشرور بعض الشذوذ مثل: التشدد في الدين، أو الأهواءو نزعات الانشقاق، مصداقاً لخبر النبي ــ صلى الله عليه و سلم ــ لكن لابد من علاج هذه الظواهر،، التي تنشأ بشكل طبيعي بين ثنايا الاتجاه العام إلى الخير.

و قبل أن أخرج إلى مسألة أخرى، أحب أن أنوه عن أمر آخر،و هو أنه بحمد الله يوجد في هذا البلد من المشايخ الذين هم على السنةو الاستقامة ، من فيهم الخير و الكفاية، كما يوجد من طلاب العلم الذين يجمعون بين العلمو القوة العدد الوافر الذي به ستتنور شدو تستنير الدعوات- إن شاء الله-.

- النوع الثاني:

و هو الدعوات في العالم الإسلامي الآخرو خارجه، لابد من كلمة إنصاف في حقها، لأني حين تكلمت عن بعض الظواهر المخالفة للسنة فيهاو لديها كان كلامي فيه شيء من العموم، وكان من الأولى أن أنصفها، بأن أقول أو أذكر الجوانب الإيجابية و الخيرة في الدعوات في سائر العالم الإسلامي، لكن عذري أن الموضوع متعلق بمسألة

معينة:و هي الفصل بين العلماءو الدعاة، فكان لابد من إشعاركم بهذه السمات أو الظ اهر الخاطئة ابتداءً.

أما الدعو ات المعاصرة في شتى العالم الإسلاميو غير الإسلامي التي تحمل لو اء الدعو ة، فإنه قد يو جد فيها من هو على السنة أفو اداًو جماعات: كأنصار السنة و أهل الحديثو أكثر الجماعات السلفيةو يغو ها، إن فيها يغو اً كيثو اً يو غم ما يقو يها من نو اقصو من خلل.و إذا قو ناها بأحو ال المسلمين، فإنها أصلح من أحو ال عامة المسلمين،ورجالهاو دعاتهاو شبابها لاشك أنهم أحسنو ا حين قاموا بو اجب قصر فيه يغو هم،و يكفيهم أنهم احتسبو ا الدعو ة إلى الله- سبحانهو تعالى-ورفعو ار اياتهاو تحملو ا المشاقو العداء من أجل الإسلام،و انتصبو ا للإسلام في قضاياه الخارجيةو الداخلية، كل منهم بقدر جهده وبأسلوبه.

و هذا فضل لهم لابد أن يذكرو يشكر،و حقهم علينا النصحو الإرشادو التسديد و العو ن على البرو التقو ىو الدعاء لهم بالغيب. ثم إن الدعو ات المعاصرة ليست كلها و قعت فيماذكرت،و إنما البعض منها،و إلا ففيها من هو في الجملة على السنة و الاستقامة في السلوكو العملو النهج،و فيها من يتلقى من العلماء،و فيها الأسو ة، و فيها القدو ة، لكنها ليست هي الكثير. بل الأكثر من أصحاب الشعاراتو الدعو ات الكبو ى هم منذكرت ممن تكثر فيهم الأخطاء،و ما هم فيه من أخطاء يستو جب التحذير منها أو لاً.و ثانياً يستو جب النصح لهمو الإرشادو البيان،و أحسبهم إن شاء الله ممن يريد الحقو يسعى إليه، لأنهم كما أحسبهم إن شاء الله مارفعو الو اء الدعو ة إلا حسبة لله، و إلا بحثاً عن الحق،و من هنا أتعشم فيهمو أنتم كذلك أن يكونو ا من رو اد الحقو أن يقبلو ا النصيحة.

- **المسألة الأخيرة**

هي الإشارة إلى الحل،و إن كان الحل في نظري لا يمكن أن يبث فيه مثلي، فأنا والله أحوج إلى النقدو النصح، لكن لابد من الإسهام–و لو بمجرد رأي قابل للنقاش– ثم إن الحل ينبغي أن تتبناه جماعة المسلمين المتمثلة في علمائهاو طلاب العلم فيها، أو طائفة منهم تنوب عن سائرهمو تتصدى للحل.

و أرى أن ترفع مثل هذه المشكلات المتعلقة بالدعاةو الدعوات بعرضو افو مفصل لأهل العلم،و نعرضها على العلماء بأفرادهمو في سساتهمو بهيئاتهم في كل بلد بحسبه، و لا مانع أن جميع أحوال العالم الإسلامي تعرض على علماء بلد معين أو أكثر إذا رؤي أنهم هم الأمثل،و أن منهجهم هو الأسلم. لكن مع ذلك لابد–و قد طرح الموضوع– أن نسهم جميعاً في بيان بعضو وجه الخلل،و نقترح الحلول–و إن كانت قابلة للنقاش،و عليه فإني أرى أن من الحل لمثل هذه الظاهرة،و هي الفصلو الجفوة المفتعلة بين العلماءو الدعاة، أو بين العلمو الدعوة ما يلي:

يتلخص الحل إجمالاً:

بالالتفاف حول العلماءو الصدور عن فتاهمو توجيههم،و التفقه في دين الله تعالى، و مناصحةو ولاة الأمور،و طرح الشعاراتو عقد الولاء على السنةو الجماعة. أما تفصيلاً فأشير إلى الاقتراحات التالية:

أولاً: ضرورة اهتمام العلماءو طلبة العلم بهذا الأمر، دراسةو معالجة،و أن تتفرغ طائفة من المشايخ من أهل العلم الشرعيو أهل الفقه في الدين لهذا،و تعكف على الحلول للنصح بها لهؤلاء الذينو قعوا فيهاو من ذلك: تأليف الكتبو الرسائل التي تعالج هذه القضايا،و الإسهام بالمقالاتو غيرها فيو سائل الإعلام المشروعةو غير ذلك.

ثانياً: أرى أنه لابد أن تنتقل طائفة من العلماءو طلاب العلم المؤهلين في البلاد الإسلامية،ليشاوروا الناس،و يشاوروا الدعاةو إن كان هذا هو خلاف الأصل، فالأصل أن العلماء يُسعى إليهمو يُسافر إليهم من أجل أن يؤخذ العلم عنهم،و لا يسعوا هم إلى الناس لكن أرى أنه لا مانع في هذه الظروف العصيبة،و في هذا العصر والوضع الذي نعيشه، أن تسافر طائفة من العلماءو تنتقل إلى شتى أقاليم المسلمين، بلو حتى إلى البلدان غير الإسلامية التي يوجد بها مسلمون،و يوجد بها دعوة إلى الله.

لابد أن تتحمل طائفة من العلماء أعباء السفرو الذهاب إلى أولئك بلورو بما الإقامة بينهم، لتعليمهم أصول دينهم،و لإرشادهم فيما يجب أن يترشد به في أمور دينهم و دنياهم، خاصة في أمور الدعوة، لأن ظروف المسلمين الآن لا تسمح بالتنقلو السفر من بلد إلى بلد إلا بصعوبة بالغة وبأخطارو مشقات لا يتحملها أغلب الناس. حيث صار التنقل من بلد الإسلام إلى بلد الإسلام يحتاج إلى إجراءات أصعب من التنقل في بلاد الكفارو إليها،و هو أمرواقع. فحسبنا اللهو نعم الوكيل.

فمن هنا أقول تقديراً لهذه الظروف: لابد أن تسافر مجموعة من العلماءو طلاب العلم الذين عندهم فقه في الدين لإرشاد الدعاةو الدعواتو عامة المسلمين،و حبذا لو أن

بعض طلاب العلم احتسب الانتقال و الإقامة الدائمة في البلاد التي هي أحوج إلى الفقه في الدين.

ثالثاً: يجب على جميع منتسبي الدعوات و خاصة الذين يتصدون للدعوة أن يتفقهوا في الدين، و يطلبوا العلم على أهله و بالطرق الشرعية الصحيحة، و أن يكون هذا من مناهج الدعوات نفسها، بأن تكثر من الدروس الشرعية، و من حِلَقِ الذكر و من حلق العلم، و لا تمنع منسوبيها من تلقي العلم عن أهل الفقه في الدين، بل تسعى إلى دفعهم إلى ذلك تحقيقاً للخير الذي وعد الله به كما قال الرسول ـ صلى الله عليه و سلم ـ "من يرد الله به خيراً، يفقه في الدين "

رابعاً: إلغاء الولاء للجماعات و الشعارات، و ترك الانتماءات و العودة إلى الأصل الشرعي و نهج السلف بعقد الولاء على الإسلام و السنة و الجماعة فحسب.

خامساً: أرى ضرورة المناصحة المباشرة من كل من يرى خطئاً في هذه الدعوات، و من ذلك ما أشرت إليه و المناصحة المباشرة لكل من زاهم أو نستطيع أن نتصل بهم و لو بالمراسلة. نعم تجب مناصحة هؤلاء الدعاة من كل مسلم يرى هذه الأخطاء و لا ينبغي له السكوت عليها، لأن هؤلاء الدعاة بل و عامة المسلمين لهم حق على كل من يرى انحرافاً أو خطئاً فيهم و خاصة الأخطاء الخطرة التي ربما تؤدي إلى الاختلاف و الافتراق، و لا نأمن أن تكون فتنة على الجميع إذا تُركت، و المناصحة تكون بالأسلوب الشرعي الذي يحقق المصلحة و أقصد بهذا أن بعض وجوه المناصحة القائمة الآن و التي لا تخلو من التجريح و التشهير أخشى ألا تجدي و لا تفيد، بل ربما تؤدي إلى تمادي بعض الناس في الأخطاء، لأن أكثر وسائل النصح من المؤلفات و الكتب التي كُتبت

و تكتب في نقد بعض الدعوات و الدعاة فيها شيء من التهجم و القسوة و التجريح و السب و اللمز و الحكم باللوازم و الظنون و هذا لا أظنه أسلوب إصلاح، فأسلوب الإصلاح هو أن نُعوض عند المناصحة عما يثير في الخصم العناد، أو التمادي في باطله، و نسلك المسالك التي هي أقرب إلى الإشفاق و النصيحة و حب الخير و حب الاستقامة للآخرين، و هذا هو المنهج الذي يحسن أن يُسلك في تقويم الدعوات- جميعاً، خاصة في هذا الوقت.

فالمناصحة يجب أن تركز على النقد الهادف المنصف المشفق الناصح، و أن يصحبها شيء من الرفق، و إقامة الدليل، و بيان الحجة و ن الإشارة إلى الخطأ الجارح، أو اللمز به، أو السب، أو التجريح، أو التخطئة أو اتهام النيات و القلوب أو الاستفزاز أو غير ذلك مما يفيد المنصوح، و لا يؤدي إلى استفزازه و إلى تماديه في خطئه، و لا مانع عند البيان و التقويم العام من ذكر أخطاء الدعوات، لكن بشرط ألا نشخص و لا نشهر و لا نسمي لغير ضرورة، و إنما على القاعدة الشرعية التي كان الرسول ــ صلى الله عليه و سلم ــ ينصح بها و هي "ما بال أقوام" .

فأسلوب المناصحة الشرعي يجب أن يكون بعيداً عن التهجم و القدح و التجريح أو الإلزام بما لا يلزم، أو حتى الإلزام بالخطأ و إن كان واضحاً صريحاً. إذا صرح المخالف بعدم التزامه.

سادساً: من الوسائل التي لعلها تنفع:

ينبغي على المشايخو أهل العلم أن يعززوا من دور المؤسسات الخيرية،و المنظمات الإسلامية الموثوقة،و المراكز الإسلامية النزيهة، فإن فيها خيراً كثيراً –و لو أنها دُعمت و سخرت لها بعض طاقات أهل العلم، لتحقق من خلالها نفع كثير، لأن لها صلة بكثير من المسلمين،و عندها من الإمكاناتو التجاربو المسائل ما لا يوجد عند أفراد العلماءو طلاب العلم.

و أخيراً

فإنه لابد من تصحيح المفاهيمو تقويم الأخطاء بكلو سيلة مشروعة: بالكتاب، و بالكلمة،و بالمناصحة الشخصية،و وسائل ا لإعلام،و بالأشرطة.

و تصحيح الأخطاء يجب أن يبنى على الأسس الشرعية التي تهدف إلى الإصلاح،و أن نتفادى فيها كل ما يحول بيننا و بين إصلاح أحوال الآخرين من إخواننا المسلمين.

و المناصحة كذلك لابد أن تبنى على: العدل في القول،و الإنصاف في الحكم، و حسن الظنو هو أن الأصل في المسلمين الخير،و الأصل فيهم حسن القصد إلا من ثبت إصرارهو عناده،و هذا أساس التعامل بين المسلمين، ثم بعد ذلك لا مانع من توجيه الخطأو النصح فيه.

هذاو أسأل الله ليو لكمو لجميع المسلمين التوفيق لما فيه الخير،و أن يبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل الطاعة،و يذل فيه أهل المعصية،و يؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر، كما أسأله- تعالى- أن يهيئ لجميع المسلمين من أمرهم رشداً.

و صلى الله على سيدنا محمدو على آلهو صحبه أجمعين.